

بابلو نيرودا

مقابلة أدبيّة مع :



بابلو نيرودا هو سفير التشيلي في باريس . ولكنه خاصة ، مع الكوبي نيكولاس غوبين ، أكبر شاعر حي باللغة الإسبانية ، وأحد عمالقة الأدب اللاتيني - الأميركي . انه شيوعي مخلص ، وسياسي مجادل فيه في بلاده نفسها . وبابلو نيرودا في السابعة والستين من عمره ، غنى الحب والورود والسواقي أكثر مما غنى عظماء هذا العالم . وهو مؤلف قصائد رائعة « عشرون قصيدة حب واغنية يائسة » « النشيد العام » . وترجم بابلو نيرودا الى جميع لغات العالم . وقد اجرت معه الاكسبرس الفرنسية هذه المقابلة التي نقلها الى قراء « الآداب » .

الأكسبرس :

انت شاعر ، وانت سياسي، وانت سفير، فمن انت ، بابلونيرودا . ومن أين انت ؟

بابلو نيرودا : - لقد ولدت في اوائل القرن ، في وسط التشيلي . ولكن عندما كنت ولدا . صحبني اهلي الى الجنوب الأقصى من البلاد ، الى « توموكو » . وكانت توموكو ، آنذاك بلدة صغيرة جدا . وكانوا يبدؤون فيها ببناء البيوت الاولى . وكانوا يوزعون الارض تباعا بين القادمين . ومن حولها ، كانت الغاية والقرية ، حيث كان الهنود المابوش يعيشون . وتوموكو هي الطبيعة بالنسبة لي ، والشيء الاساسي في شعري .

- افيها ذهبت الى المدرسة ؟

- نعم - الى مدرسة القرية . لقد كان لاصحابي اسماء المانية وانكليزية ونروجية وبالطبع اسماء تشيلية . كان مجتمعا بلا طبقات ، عالما ولد لتوه . كنا جميعا متساوين . وساور الطبقات ثم فيما بعد ، عندما كان الناس قد بدأوا يفتنون . على انها كانت في هذه الاثناء ، نوعا من الديمقراطية الشعبية الكبيرة ، وقد كان لجميع الناس فيها عمل ولم يكن قد وجد بعد ملاك الارض . ولرؤوس الاموال .

- والهنود ؟

- نيرودا .

كانوا يعيشون على حدة تامة وبما ان المابوش كانوا مطرودين من اراضيهم في اواخر القرن الماضي ، فانهم لم يكونوا يسكنون توموكو بالذات ، ولكن في القرية المجاورة : خص هنا ، وعلى بعد بضعة كيلومترات خص اخر . كانوا يأتون الى البلد لكي يبيعوا منتوجاتهم : ثيابا صوفية وبيضا وخرافا . وفي المساء كانوا يعودون منها ، الرجل راكبا حصانا ، والمرأة سائرة على اقدامها .

- هل كنت تعرفهم ؟

- لم تكن على علاقة ابدا معهم . لم تكن نعرف لغتهم . بعض كلمات فقط . وهم ما كانوا يعرفون الإسبانية . ثم انهم ما يزالون يتحدثونها براءة بالغة .

- ومع ذلك ، فان شعرك قد طبع بوجود الهنود .

- ب . نيرودا . .

كان لدي شعور التاريخ هذا الذي هو الى حد ما ضمير الشاعر . فعلى هذه الارض من توموكو جرت أكبر معركة من معارك اروكانيسا ، امبراطورية المابوش . وكان الفامرون الاسبان يأتون ليجتثوا عن الذهب ،

وعن الذهب وعن الذهب ايضا . وجرعهم الهنود ذهباً سائلاً وهم يقولون لهم : الآن ، لديكم الكثير من الذهب . . ولم يصمد اي شعب هندي من شعوب اميركا اللاتينية بمثل هذه الشراسة بوجه الاسبان . ولقد نسي هذا اكثر مما ينبغي .

- كم عددهم اليوم ؟

- ان الحكومات الشمالية الرجعية قد اخفت دائما الحقيقة . كانوا يقولون انهم على الاكثر ٥٠٠٠٠ او ٦٠٠٠٠ وفي الحقيقة هم نصف مليون . انهم يشكلون اقلية عرقية ، ان لهم لغتهم ، - احدى اجمل لغات العالم - وثقافتهم ، وثقافتهم وان حكومتنا الحالية هي التي جعلت ، لأول مرة ، من هؤلاء التشيليين ، مواطنين لهم حقوق كاملة . ولم يكن لهم حتى الان الاحقوق ضئيلة .

- لماذا امضيت طفولتك في توموكو . وماذا كان يعمل ابوك ؟

- لقد كان ، في اواخر حياته ، يدير السكك الحديدية لا سكك المسافرين . ولكنها كانت حافلات تنقل رص السكك التي كانت توضع بين اللجافات الخشبية لان الدنيا كانت تمطر بلا انقطاع . وكانت السكة بمثابة منزل له . لقد كانت له مركبة لينام ، ومن وقت لآخر ، كنت اذهب لامضي بضعة ايام معه . كنا نذهب لعدة ايام ، مع بعض العمال ، فنكتشف الطبيعة ، والسواقي ، والورود ، والجبال . كان ذلك مشيراً .

- هل كانت امك ترافقكم ؟

- لقد كنت في الشهر الثاني من عمري عندما توفيت . وتزوج ابي مرة ثانية ، وامراته الثانية هي التي كانت امي الحقيقية . لقد اهديتها عدة قصائد . لقد كانت حقا رائعة .

- ومتى كتبت اولي اشعارك ؟

- اعتقد انني كنت في السابعة او الثامنة ، ولقد كان ابي وامي ، هذا اليوم منهمكين جدا ، وعندما عرضت عليهما اشعاري ، فلإلى لي : « من اين نقلت هذا » كانت القصيدة مهداة الى امي .

- متى قرأت ، لأول مرة ، احدى قصائدك علنا ؟

- في السادسة عشرة من عمري . كنت ادرس في جامعة سانتياغو .

ولقد كان ، آنذاك ، نوع من الكرنفال ، هو عيد الربيع ، الذي كان من الواجب ان يفتتحه شاعر . وكانوا قد نظّموا ، لاجل ذلك ، مسابقة في التشيلي لينتخبوا افضل قصيدة . ارسلت قصيدتي ، فكانت ان اختيرت بين آلاف غيرها . كان ذلك في عام ١٩٢١ ، كنت آنذاك منزلا جدا ، ومتوحدا جدا . لقد كنت منفصلا الى حد انني لم استطع ان اقرا قصيدتي ، فقرأها عني آخر .

– بين السابعة والسادسة عشرة ، هل كنت قد قمت بدراسات ادبسية ؟ .

– كنت قد قرأت الشعر الفرنسي . قبل ان ادخل الى الجامعة قرأت سولي برودم وفرلين . كانت توجد آنذاك مختارات من الشعر الفرنسي جميلة جدا . وكان من الشائع اقتناؤها وتداولها وبما انني كنت فقيرا ، وقتذاك ، فقد اعدوني اياها فكنت انقل قصائد . متى نشرت مجموعتك الشعرية الاولى ؟

– بعد مضي سنتين . لم يكن ذلك سهلا . لقد ساعدني اصدقاء ، واعطتني عائلتي مالا ، بعت ساعتني . ولكن ، في اخر دقيقة ، لم يشأ الطبّاع ان يترك لي نسخة واحدة من كتابي لانني كنت ما ازال مدينا له ببعض الدراهم . كان ذلك فظيضا . ركضت كمجنون في كل مكان تقريبا وحصلت اخيرا على المبلغ اللازم . وفيما بعد ، وجدت ناشرا ، انه ما يزال ينشر لي قصائدي .

– كنت تسمي نفسك ، في الواقع ريكاردو اليسير نيفتالي ريس اي باسويالتو . فلماذا غيرت اسمك ؟

لقد غيرت اسمي في الرابعة عشرة من عمري ، قبل ان اذهب الى سانتياغو . بسبب ابي . لقد كان رجلا ممتازا ، ولكنه كان ضد الشعراء ، بوجه عام ، وضدي ، بوجه خاص . لقد توصل حتى الى حرق كتابي ودفاتري . بالنسبة له . كان عليّ ان اصبح مهندسا ، او طبيبا ، او مهندسا معماديا ، ذلك انه ، كما كان يقول ، نحتاج اليهم . لقد كان ، لجميع هؤلاء الاشخاص من الطبقة الوسطى المنحدرين من الفلاحة والذين كانوا يريدون ان يروا ابناءهم يرتفعون في المجتمع . واذن فان الطريقة الوحيدة للوصول الى ذلك ، كانت الجامعة والمهن الحرة .

– ولكن لماذا سميت نفسك بابلو نيرودا ؟

ب – كان هناك شاعر تشيلي كبير ، كان في الوقت نفسه مخبرا ادبيا اروين كيش . هذا الرجل امضى عدة سنوات من حياته يلاحقني وي طرح عليّ السؤال نفسه الذي طرحه عليّ . ولقيته من جديد في مدريد . ومكسيكو وبراغ . وفي براغ قال لي : قل لي نهاية القصة ، انني عجزت الان ، لقد لاحقتك منذ فترة طويلة جدا .

والحقيقة ، هو ان الحقيقة لا توجد بالنسبة لهذه القصة . ذات يوم كنت اخشى اكثر من اي يوم مضى ان ارى والسدي يكتشف الحقيقة . وهذا ما كان يمكن ان يكون كارثة – تصفحت مجلة كانت قد وجدت فيها قصة بقلم جان نيرودا . وكان عليّ ان اعود فاقدام احدي قصائدي لسابقة . اذ ذاك ، اخذت « نيرودا » واخترت كاسم صغير بابلو . وكنت اعتقد ان ذلك سيكون لعدة شهور . هل اعتدت بسهولة على هويتك الجديدة ؟

– ليس في بادئ الامر . ولكن فيما بعد . وانتهت الحكومة باقترت اسمي قانونيا ، وقد مضى على ذلك خمسة وثلاثون عاما ، واليوم بابلو نيرودا هو اسمي الحقيقي . وليس لي اسم آخر غيره . كانت الجامعة تكلف كثيرا . وكان باستطاعتك ان تعيش في كتابة القصائد فقط ؟

– كان المرء يتدبر امره ، لدى عائلات المقاطعات ، ليكتشف خالة كانت تملك فيما مضى نزلا صغيرا في سانتياغو . فكنا نسكن عندها ، وكان ذلك بتمن رخيص جدا . ولقد كان في هذا النزول كثير من البق وكنا ناكل وجبة قليلة جدا . جبل كامل من رفاقي ، في الجامعة ، مات عمليا من الجوع .

– ماذا كنت تتلقى في الجامعة ؟

– في السنوات الاولى : الهندسة المعمارية واللغة الفرنسية . الفرنسية نستطيع القراءة ولكني لم انه دروسي ، لان السياسة الجامعية قد استأثرت بي وكذلك الحياة الادبية . فبالنسبة لقروي مثلي ، كان اغراء كبيرا جدا ان تتلقى اشخاصا يتحدثونك عن بودلير ، وكانوا يعرفون الشعراء الفرنسيين . كنا نمضي ليالي ونحن نتبادل اكتشافات كنت لا اكاد اتجاوز التاسعة عشرة من عمري في ذلك الوقت .

– هل كان التشيليون يستهويهم الشعر الى هذا الحد ؟

– لقد كان هناك عدد كبير من الشعراء كنا نحفظ اشعارهم عن ظهر قلب . لقد كان للتشيليين دائما ميل للشعر . لعل ذلك يرجع الى عزلة هذا البلد ، البركاني والبحري في آن واحد . وخلال هذه الفترة كلها من حياتي كتلميذ التي كنت اطوف فيها الشيلي وانا لقيت قصائد ، شعر ان اكثر ما كان يهم الطبقات الشعبية ، كان الشعر . وكان باستطاعتي ان اتحدث عن السياسة او الاقتصاد ولكن الشعر هو اكثر ما كان يستهوي الناس .

– انت شاعر ، واصبحت ذات يوم قنصلا . كيف تم ذلك ؟

– التشيليون هم بحارة ورحالة كبار . وعندنا ، جميع الناس يريدون ان يسافروا الى الخارج . وعندما تكتب شيئا ، يقولون لك : « ولكن ماذا تصنع هنا ؟ » كما لو انه كان آخر مكان في العالم . لقد رددوا عليّ هذا السؤال بكثرة الى حد انتهت فيه الى ان اتساءل ما كان عساي اصنع في بلدي ، واية طريقة افضل للذهاب الى مكان آخر . لم اكن املك مالا . اذ ذاك فتحوا لي بابا سريا : امكانية ان اعين قنصلا . لم اكن اعرف ماذا كان ذلك يعني . ولكني اقنعت نفسي انني استطيع ان اكونه ، فذهبت الى وزارة الخارجية لكي يعطوني وظيفة . وكان ان نظروا اليّ بطريقة ساخرة جدا فرجعت . ومع ذلك ، فذات يوم سألني احدهم : « هل انت الذي تريد ان تكون قنصلا ؟ هذا سهل جدا ، اتبعني » واعقب القول بالفعل . لقد كانت هناك خارطة للكرة الارضية في مكتب الوزارة ، وبالضبط في المكان الذي عينوني به ، كان هناك ثقب . ولقد احسست نفسي مغمورا بالامجاد الى حد لم اسأل فيه اين كان . وعندما كانوا يسألونني ليعلموا اين كنت قد عينت قنصلا ، كنت اجيب « في الثقب » . والثقب كان « رانفون » في « برمانيا » .

– كانت بعيدة . .

– لاذهب اليها ، مرتت بباريس . كان ذلك عام ١٩٢٧ في فترة احتلال كومبرناس المطلق . امضيت اربعة ايام او خمسة من الليالي حتى الفجر ، في « الدوم » و« الكوبول » والتقيت فيهما عددا كبيرا من الاشخاص ، وكثيرين من الارجنطينيين . وكانت موسيقى التانغو دارجة ، ثم استقلت باخرة تابعة لوكالة السفر البحرية ، فسي الدرجة الثالثة ، ووصلت الى سنغفورا . كنت اعتقد ان رنفون كانت قرية جدا . والحال اني لم اكن املك مالا بعد لاتابع سفري . وطلبت من قنصل تشيلي ان يساعدي لاشترى بطاقتي . فرفض . فهددته اذ ذاك باللقاء محاضرة عن التشيلي في سنغفورا . فاخذته غير شديدة اضطر معها ان يسارع ليعبرني مالا . وركبت المركب الى بيرمانيا . هل كان الشرق يستهويك ؟

– اقل من كتاب جياني في هذه الفترة . ولكن حين وصلت ، اكتشفت شيئا مذهلا . بلدا تسيره النساء . كانت نساء انبقات جدا ، مرتديات ساريا اصفر ، او ازرق ، مع زهور بيضاء ، وكن يدخن سيكارا كبيرا مثل فيديل كاسترو ، وكانت الوزارات ، والمجالس البلدية والحلات ، كل شيء كان بادارة النساء . وفيما بعد ، علمت ان النساء البرمانيات كن على جانب كبير من الاهمية في حضارة بلادهن الى حد كان الانكليز قد منحوهن حق التصويت حتى قبل ان يوافقوا على اعطائه للانكليزيات . كان بلدا غريبا ! وما ازال اذكر هذا الباغود

– التتمة على الصفحة ٩٣ –

مقابلة ادبية مع بابلو نيرودا

تتمة المنشور على الصفحة - ١٠

(معبد) الكبير المذهب بكامله في وسط رانفون . كان كل امرئ يأتي ويلصق عليه ازرافا من الذهب ، مباعة على مقربة منه . يقولون ان الباغود يحوي على ثلاث شعرات من بودا ، محتفظ بها في قارورة مليئة بالزمرد والياقوت . وفي اوقات ما من النهار ، كان سيل عظيم ، يرتفالي اللون ، يندفع راکضا نحو المدينة . الكهان هم الذين ياتون ، في ساعة محددة ، يستجنون طعامهم لان بودا يحرم اقتناء ثروات مادية .

- هل سافرت في سائر انحاء آسيا ؟

- لقد ذهبت الى كالكوتا والى مدراس وكولومبو وقمت برحلة عبر الهند - الصينية التي اثرت في كثير . كنت اسافر في سيارات كبيرة كانت تجناز شبه الجزيرة حتى سايقون . وكانت تتوقف غالبا لانها كانت تتعطل .

و ذات ليلة كنت في سيارة كبيرة مع اربعة او خمسة اشخاص كانوا يبذون لي خطرين ، خاصة وانني لم اكن اعرف كلمة واحدة ، من لغتهم . وفجأة كنا قد توقفنا في قلب غابة . جميع المسافرين تبادلوا النظرات ، ثم خرجوا . وقلت انا لنفسى : اذا خرجت من هنا فسوف يذبحونني . فليس من الممكن ان يدور حوار بيننا ، بما انهم لا يتكلمون لا الانكليزية ولا الفرنسية وانا لم اكن اعرف كلمة واحدة من لغتهم .

كنت اذن وحدي في السيارة ، مع سكان الغاب من حولي ، ووسط الظلمة التامة حتى ابعد الحدود ، عندما رايت فجأة انوارا وسمعت طبولا . في هذه اللحظة ، اقترب شخص يتحدث الانكليزية ، يتبعه نفر كبير من الاشخاص . فشرح لي ان السيارة كانت معطلة وبما انني كنت الغريب الوحيد وانني سوف اضجر ، فان باقي المسافرين قد ذهبوا ليجلسوا موسيقيي البلدة المجاورة ليعزفوا لي بعض الموسيقى . كنت قد خفت من ان يقتلونني وهامهم كانوا يحملون لي افضل ما في الحياة : الموسيقى والرقص .

- هل كان لديك عمل كثير في رانفون ؟

- لا . كان ينبغي ان اعلن عن البضائع التي كانت تصل من التشيلي او التي كانت ترسل اليها . وكنت اوقع على الاوراق . كان هناك مركب من الشاي كل اربعة اشهر ، بالإضافة الى منتج مشق من البترول لصنع الشموع . وكان علي ان انتظر اربعة اشهر حتى ياتي أحد ما الى القنصلية ليقوم بمعاملة . لم يكن احد يرغب في الذهاب الى تشيلي ولم يكن هناك تشيلي واحد يمر في برمانيا .

- هل كنت تتقاضى اجرا كبيرا ؟

- ضئيلا جدا . فقد كانت القوانين التشيلية في هذه الفترة تنص على انه اذا لم يكن هناك ادخال عملات اجنبية الى القنصلية ، فلم يكن يحق لي شيء . وكانوا يحددون مبلغا اتفاهيا هو ١٦٦،٦٦ دولارا . فاذا كان المال المقبوض يفوق هذا المبلغ ، فقد كان علي ان ارسل الباقي للدولة ، وان كان اقل ، فباستطاعتي ان احتفظ بكل شيء .

- وماذا كنت تصنع لتعيش ؟

- كنت قد افنعت صاحب الفندق بانها لم تكن غلظتي ان كان المال ينقصني . ففي كل مرة كان المركب يصل ، كنت ادفع له ، وكنت استطيع ان استمر في العيش لمدة اربعة اشهر اخرى عنده .

- كان لديك اذن الوقت للكتابة ؟

- اجل . لقد كتبت : « اقامة على الارض » وهو كتابي الخامس او السادس .

- الم تجذبك ابدأ الديانات الشرقية ؟

- لقد كنت لا ادري (انكار قيمة العقل وفدريته على المعرفة) . وكنت امقت هذه الحركات الدينية المشوهة المزوجة بالفراسة والفلسفة السرية ، التيوصوفية (نظرية اشرافية دينية موضوعها

الاتحاد بالرب) . كنت ارى انها كانت وسيلة للتهرب من الحقيقة . وبالفعل ، عندما وصلت الى الشرق اكتسبت الافتتاح بان الهند والبلاد البوذية كانت منهمكة اشد الانهماك في البحث عن وسائل التعمش . كان ذلك بالنسبة لهم شيئا جوهريا . وذات يوم ، هطلت على رنفون امطار مدارية غزيرة ، وامام معبد ، كان هناك آلاف من الاشخاص . لقد كانوا راكعين في الوحل . كانوا يدينون بديانة الكهان الذين كانوا في الداخل . ولكنهم لم يكونوا يستطيعون الدخول . وكان هذا بالنسبة لي شيئا لا يحتمل . اي ظلم وحشي !

واحتججت بداخلي ، ولكنني ادركت انني كنت احتج كمسيحي وانني قد كنت مسيحيا ، بعد كل شيء ، لان في المسيحية ، على الافضل مساواة ، ثم انني وجدت ان البوذية لم تكن قد اتمت مثلها الاعلى . اصلاح المجتمع . لقد كان بودا ، في فكره مصلحا كبيرا ، ولكنه لم يحسن نقل قوة فكره للعالم لكي يغيره . ولاحظت بالطبع انني كنت اقرب الى الاسلام .

- كيف تم ذلك ؟

- بطريقة غريبة . ذات يوم ، دخلت الى جامع ابيض كله ، وكله من الرخام . لم يكن فيه اناك واحد ، ولا صورة واحدة ولا تمثال واحد . كان الجو شديد الحرارة في الخارج وكنت متعبا جدا ، فخلعت حذائي ، كما هي العادة . كان الجامع مقفرا . ولكن ، بعد قليل سمعت اصواتا ، وعندما خرجت ، كان هناك مسلمون غاضبون . قالوا لي « ماذا اتيت تفعل هنا ؟ هل انت مسلم ؟ - لا - هل مسيحي ؟ - على الأرجح - ولماذا نمت هنا ؟

- لقد اردت ان اجلس قليلا ، لقد كنت متعبا - وماذا كنت تريد ان تصنع ؟ - ربما لاتأمل وأفكر » عندها تحدثوا فيما بينهم وقالوا لي : « انك على حق . انه المكان للتأمل . باستطاعتك ان تعود » .

لقد هنئي ذلك هذا كبيرا ، هذا التفهم باللاهوت . وهذا اشد ما اثر في خلال السنوات كلها التي امضيتها في الشرق . انت تعرف ، هذه الواكب الكبرى مع الفيلة ، والالهة كالي ، المزينة بالوشاحات وعقود رؤوس الموتى ، وصراخ الحيوانات التي يذبحونها ، والدم في الطرقات ، والذباب والكهنة الجشعين لبضعة فروش ، انني لم اجد ذلك ابدا محببا جدا ... وبالمقابل ، ذلك الجامع المضيء ، النسيدي كبحيرة كبيرة بلا ماء . لقد طبعني ذلك بطابعه .

- هل سبق ان كانت لديك معتقدات سياسية في الشرق ؟

- نعم . لقد اختلطت توا بالطلبة الثوريين في الهند . كنت بالاحرى استمع اليهم ، لانهم كانوا يغارون من الغربيين امثالي . ففي تلك الفترة كانوا فقط ضد الاستعمار .

- وانت ؟

- انا ، عندما كنت طالبا في جامعة سنتياغو ، كنت امضي جزءا من وقتي في ترجمة الفوضويين الفرنسيين الذين لا تعرفهم بالتأكيد . ولكن الطبقة العاملة التشيلية كانت متأثرة بهم . كانت فترة ساكو وفاتزيتي . كنت حينذاك في السادسة عشرة ، من عمري وكنت اكتب افتتاحيات سياسية في المجلات الجامعية .

- لقد تطورت فيما بعد . كيف اصبحت شيوعيا ؟

- انت تعلم ، لقد كان عندي في التشيلي جبار حقيقي للتنظيم النقابي . ان سألني لمن يعود انتصار الوحدة الشعبية فساقول لك : ان هذا الرجل لويس اميليو ريكابرين . كان هو الذي اسس ، في تموز ١٩١٢ ، الحزب العمالي الاشتراكي ، الذي اصبح ، بعد سبع سنوات ، الحزب الشيوعي . لقد اوجد حوالي اربعين نقابة ، ثم المركزية العمالية الاولى . واخيرا اسس الصحافة العمالية ، وهي خمس عشرة صحيفة او عشرون وعلم التنظيمات النقابية ان توفسر المال . وبالاختصار ، فان ريكابرين هو رائد النقابية التشيلية . لقد كان دوره حاسما ، وتأثيره كبيرا على رجال جيبي . وفي حين ان الديكتاتورية كانت تستقر في معظم انحاء اميركا اللاتينية تقريبا ، عرف هذا الرجل ، بوضع النقابات المصرية على قدميها ، ان يدخل التشيلي على طريق مختلفة . وبالطبع ، فقد اتبعنا نحن المفكرين والكتاب ، هذا التطور . لقد تم ذلك بشكل طبيعي .

– متى انتميت الى الحزب الشيوعي ؟

– لقد بدأت في ان اصبح شيوعيا في اسبانيا ، في زمن الحرب الاهلية . لقد عينت فيها قنصلا لتشييلي . وهنا امضيت اهم فترة من فترات حياتي السياسية ، ككثيرين من كتاب العالم كله ، من جهة اخرى . لقد كنا منجذبين بهذه المقاومة العنيفة للفاشية التي كانتا حرب اسبانيا . ثم ان هذه التجربة قد كانت بالنسبة لي شيئا اكثر من ذلك ، فقبل الحرب الاسبانية ، كنت قد عرفت كتابا كانوا كلهم جمهوريين باستثناء واحد او اثنين . والجمهورية ، كانت في نظري ، انبعاثا جديدا للحضارة ، وللادب والفن في اسبانيا . فديريكو فرسيا لوركا هو التعبير عن هذا الجيل الشعري ، الاكثر تفجرا في التاريخ الاسباني منذ عصور . واذن فان الابداء الجسدية لهؤلاء الرجال كانت بالنسبة لي مأساة شطر كامل من حياتي فدنته على هذا الشكل في مدريد .

– هل عرفتهم جيدا ، هؤلاء الشعراء ؟

– نعم . كنت اراهم كل يوم ، في المقاهي حيث كنا نجتمع . خاصة غارسيا لوركا . كانت هي الفترة التي كان يكتب فيها كثيرا من المسرحيات . كنت ارافقه غالبا الى التجريبات . وكنا نبحث معا في ديكور مسرحياته .

– بعد اسبانيا ، عينت قنصلا في مكسيكو . هنا كانت مراراتك السياسية تبدأ مع اغتيال تروتسكي ، أليس كذلك ؟

– لقد حاولوا في أوروبا ، لاسباب سياسية وادبية ، ان يشركوني في موت تروتسكي . والواقع انني لم ار فظ هذا الرجل لا من قريب ولا من بعيد ، لا مينا ولا حيا . ولكنني ، على اي حال ، استطيع ان اروي لك حدثا يبدو لي مثيرا . كنت قد وصلت لتوي الى مكسيكو ، لاشغل منصب قنصل عام ، عندما زارني سفير المكسيك في التشيلي السيد اوكنافيو ريس اسبنولا . اعتقد انه ما زال حيا وانه حاليا في مجلس الشيوخ . اعلمني ان الجنرال مانويل افيلا كاماشو ، رئيس الجمهورية المكسيكية ، كان قد كلفه بمهمة سرية . وسألني ، بكلمة ، وبصفة شخصية ، ان امنح في اقصر مدة ممكنة ورقة مرور للرسم دافيد الفارو سيكيروس تسمح له بالدخول الى التشيلي . علي ان اقول لك ان هذا الطلب ادعشني ، لانني كنت اعتقد ان سيكيروس كان في السجن . كانوا قد اتهموه ، بالفعل ، لكونه قد اطلق رصاص رشيشه على بيت ليون ترونسكي . فقلت اذن للسفير ريس اسبنولا : « كيف تريدني ان اعطيه ورقة مرور ما دام هو في السجن ؟ » وكان جواب السفير : « ليس عليك ، سوف نحرره » .

واقترحت اذ ذلك ان اذهب وازوره ، وهذا ما فعلناه في اليوم التالي . ووجهنا الى مكتب الكابتن بيريز رولفو ، مدير السجن ، الذي استقبلنا بكثير من الحفاوة .

واستدعى سيكاروس ، الذي لم يسبق لي فظ ان رأته من قبل ، وشربنا ثلاثتنا معا بضعة كؤوس في مقاهي المدينة ومن غير ان يكون لي الحق في ان اطلب اي شيء ، ما دام الامر يتعلق بطلب من رئيس جمهورية المكسيك ، مع ذلك فقد ظلت من سيكيروس ، لكي امنحه ورقة المرور ، ان يقدم عملا ما لتشييلي ، على نفقة الحكومة المكسيكية . وهذا ما تم . فان سيكيروس ، لمدة يزيد على السنة رسم للتشييلي اكبر لوحاته الجدارية . وهي توجد في مدينة سيلان . وهذا سر ما حدث في هذه القصة العدوانية التي لم ارد فظ ان اجيب عليها حتى الان .

– لماذا اذن غادرت فجأة المكسيك ؟

– كنت متعبا في الحياة القنصلية ، ومن ان اعيش الى الابد في الخارج . فكان ان رحلت ، ذات يوم .
– ومن يومها ، اظهرت دائما تعلقا كبيرا بالاتجاه الشيوعي السوفياتي . ماذا يمثل لك ذلك ؟
– اذا كنت تفهم الثورة الفرنسية ، ودورها في العالم ، لو كنت

تعلم الى اي حد صيغت بطابعها في فارتنا افكار فرنسا الجمهورية ، في صراعنا من اجل الاستقلال وضد الامبراطورية الاسبانية ، اذ ذاك ستفهم لماذا كان كل هجوم ضد فرنسا الجمهورية كان هجوما ضد وعي العالم الجديد الذي كان يتكون .

وانها الفكرة نفسها التي تسند علاقاتي مع الاتحاد السوفياتي . ليس هو الاتجاه ، انما هو تطور الفكرة الذي يقودني ، واثري وعي ثوري في فترة ما . فالاتحاد السوفياتي هو اول بلد قام بثورة اشتراكية . ومن الممكن ان تكون هنالك اشياء كثيرة لم تتم . ولكن ، كفرنسا تماما ، التي ارتكبت الكثير من الاخطاء ، فان الاتحاد السوفياتي قد ارسي ، هو ايضا ، اسس عصر سياسي كبير . وسأظل وفيما لهذا البلد الذي صنع أكبر ثورة في التاريخ . انني ابقى وفيما لوجوده ، ذلك لانني لا اسمح لنفسني بنزوة الانحرافات . وبالنسبة لي ، فان الشيء الاساسي هو وجود الاتحاد السوفياتي .

– ان ذلك يعني انك لا تمنى ان ينتقد الاتحاد السوفياتي لانه يمثل ، بالفعل ، للذين يؤمنون به ، شكلا ما لمثل أعلى . ولكنه شيء آخر الافرار بهذا الخطأ المرتكب او ذلك . فلو رجعت الى الماضي ، ان تدمم أنت نفسك لانك ايدت بموهبتك هذا القرار او ذلك من التاريخ السوفياتي ؟

– سيكون ذلك لا معقولا . اذا كنت اعتقد ان الدنيا ستتمطر في هذا اليوم من شباط ١٩٢٣ واذا كنت تعتقد العكس ، فماذا ينبغي عليّ ان اقول لك ؟ ان كل ما استطيع ان اجيبك به ، هو انني اظن ان الدنيا ستتمطر هذا النهار . لقد تغيرت الامور ، ولكن الجمهورية الاسبانية مثلا ، ما تزال بالنسبة لي اليوم ما كانته في السابق . انها فترة نجرها مع ذواتنا في حياتنا . على كل حال ، فانا لست فيلسوفا سياسيا لافكر بهذه الطريقة . لقد قلت لك بكل بساطة ما يمثل الاتحاد السوفياتي لي . ان تناقش فهذا شيء طبيعي ، بالنسبة لفرنسا كما هو بالنسبة للاتحاد السوفياتي او انكلترا .
– عندما اطعمت على تقرير خروتشوف بخصوص اخطاء ستالين ، هل تركك ذلك لا مباليا ؟

– لقد سبب لي ذلك صدمة كبيرة . خاصة عندما علمت ان ذلك كله كان يحدث وانني كنت انا نفسي لا اعرف منه شيئا ، في حين انني كنت قد ذهبت عدة مرات الى الاتحاد السوفياتي . ولكن ، وبالرغم من كل شيء ، فقد تجرأ الاتحاد السوفياتي ان يظهر للعالم حقيقة كان من الممكن ان يخفيها غيره .
– قد يكون ذلك صحيحا . هناك كاتب آخر لا يماثلك على الاطلاق ، كوستلر ، انفصل عن الحزب الشيوعي لاعتقاده بان ما كان يجري في الاتحاد السوفياتي كانت اشياء فظيمة . فاذا عدت الى الوراء ، فهل تعتقد ان تعلقك بفكرة ، حتى وان كانت احتماليا خاطئة ، كان اجدي من تبصر كوستلر بشأن هذه الفظاعة او تلك ؟

– لقد فرأت الحديث الذي اعطاك اياه كوستلر . وجدته تعبسا بعض الشيء من ان يكون مجبرا دائما للاجابة على الاسئلة ذاتها . لقد قال لك ذلك : انه امضى حياته وهو يكتب ادبا مستوحى من السياسة ، ومن السياسة وحدها . لقد احسست عنده بتعب كبير . اما انا ، فاني لا احس بالتعب ، لانني لم اكتب فقط عن السياسة . ربما كتبت سبعة آلاف صفحة من الشعر . اعتقد انك لن تجد اربع صفحات في هذا الموضوع . ان لي اذن اسبابا كثيرة لكي لا اكون متعلقا بهذا النوع من الاسئلة . ان لشعري يتابع اخرى . وفي الواقع ، كان بإمكانني ان انظم شعري في مدينة صغيرة ، بالقرب من غابة كبيرة . كوستلر هو نموذج من المدينة ، من المدينة المستعمرة ، ومن الافكار والنزاعات . انني افضل الحب . لقد كتبت عشرة كتب عن الحب . والسياسة هي هوس الآخرين . وليست هوسي انا .
– ولكنك تدخلت دائما في السياسة .
– انهم يدخلونني في السياسة .

- بتعبير آخر ، السياسة ليست الا مظهرا ثانويا من شعرك ؟
- أجل . اعتقد ذلك حقا . ليس هو الجوهر في شعري .
ما هو الجوهر ان تكتب ما تحسه حقا في كل لحظة من لحظات الوجود . اني لا اؤمن بنظام شعري ، او تنظيم شعري . بل اذهب الى ابعد من ذلك : اني لا اؤمن بالمدارس ، ولا بالرمزية ، ولا الواقعية ، ولا السريالية . اني طليق تماما من البطاقات التي توضع على المنتجات . اني احب المنتجات ، وليس البطاقات . وما أكثر البطاقات التي نملكها في تاريخنا القصير ..

- لنعد الى بلدك . كيف حصل ان تكون للتشيلي ، بالقياس الى سائر اميركا اللاتينية ، تقاليد ديموقراطية اكثر من سواها ؟
- لقد كان لنا طبقة اوليفارشية ظلت فسي الحكم مدة مئة وخمسين عاما . هذه الطبقة كانت مثقفة جدا . كانت تقرأ الفلاسفة وكانت بهذه الطريقة متأثرة بجميع نزعات القرن التاسع عشر . واذا كانت هذه الطبقة اكثر ثقافة من غيرها من جهة اخرى ، فقد اختارت القانون لتحكم . قانونا لم يكن يتضمن التناقضات ، وكان معمولا بالطبع على قياسها . وبالمقابل ، فان الطبقة العاملة ، المجتمعة في تنظيمات كبيرة والمنظمة ، قد عرفت ان تنتهز القانونية لكي تنشر وتجر معها طبقات واسعة من السكان . هذا هو تاريخ بلد هادي متمسك بالقوانين .

- انه ليس بلدا اسبانيا جبرا .

- لا تعتقد ذلك . لقد تركت اسبانيا ترانا شعريا في اميركا اللاتينية . لقد كان الاسبان ككتاب شرع كبارا . ان الاقطاعية هي التي افسدت كل شيء . فعندما قدم الفامرون الاسبان الى بلاندا ، كانت الملكية الاسبانية اكثر تقدما من الممالك الاوروبية الاخرى . كانت انسية . ولكن الناس الذين كانوا ينزلون في القارة كانوا يحملون البذور القديمة للاقطاع . ونحن التشيليين ربما كان لدينا الحظ في ان نرث من هذا الجانب الشعري لاسبانيا .
- حكم رئيس الجمهورية سلفادور ايندي الذي تمثله في باريس يدعي البقاء في الشرعية . ليس هو طوقا لثورتم ؟

- لماذا ؟ من قبل ، كنا نسن قوانين كان يمكن ان ترضي الشعب ولكننا لم نكن نطبقها . فالاصلاح الزراعي قد خطه الرئيس الديموقراطي - المسيحي ادوياردو فري . غير ان الشخص الذي كان عليه ان يضعه موضع التنفيذ ، السيد جاك شونشول ، وزيرنا الحالي للزراعة ، قد اصطدم بمعارضة فري حالما اراد ان يعمل حقيقة شيئا ما . وقد دفع السيد شونشول للاستقالة . وفي الواقع ، كانوا يضعون القوانين لكي لا يطبقوها . اما نحن ، فاننا نطبقها ، او اننا نسن قوانين جديدة هي بالضرورة خاضعة لواقفة الكونغرس . ونستطيع ان نتقدم طويلا في هذا الطريق .

- ان نجاح تجربتكم ، أي تاسيس مجتمع ماركسي في اطار الحرية ، يتعلق الى حد كبير بازدهار الاقتصاد . لانه اذا سار الاقتصاد سيرا سيرا ، فانكم تجازفون بخسارة الانتخابات القادمة . واذا اقيمت الانتخابات ، فانكم تضعون حدا للحرية الديموقراطية . وبما انكم تريدون الماركسية ضمن الحرية ، فانكم تجازفون فسي خسران الانتخابات . فما رأيك بذلك ؟

- اعتقد انك تقوم بتحليل واضح جدا . بالطبع ، بالنسبة لنا ، انها تجربة كبيرة . ففي العالم كله ، تريد الشعوب ان تحقق مكاسب اقتصادية عاجلة ، والشعب التشيلي لا يختلف عن غيره من الشعوب . وهذا يعني انه ستكون امامنا لا محالة صعوبات . واذن ، فعلينا ان نواجهها وان نتجاوزها . والآن ، تباع المخازن ثلاث مرات او اربع اكثر من قبل . والتضخم المالي ، فوق ذلك ، قد توقف . ونحن نريد بالفعل ان ننتج اكثر . انها مشكلتنا الكبيرة ، لانه لكي نرضي النمو الحالي لقوة الشراء ، علينا ان نزيد الانتاج . سيكون امامنا صعوبات ، وانت تعلم مثلي من اين ستاتي . ماذا

تبيع اليوم ؟ ما هو انتاجنا الرئيسي ؟ النحاس . اننا لا نخشى ان لا نبيعه ، لان العالم متعطش للنحاس . ثم اننا بتأمينا المناجم ، نسترد مئات الملايين من الفرنكات كل يوم . انه تقريبا المبلغ الذي كانت ترحبه المؤسسات الاميركية في بلد كان يفترق الى المدارس والمستشفيات والطرق . ومن جهة اخرى ، نريد ان نوسع تجارتنا مع جميع بلدان العالم . ومن قبل كانوا يمنعوننا من ذلك . فلم يكن باستطاعتنا ان نقيم علاقات دبلوماسية مع الصين . ولكنكم ، انتم الفرنسيين ، كان لكم مثل هذه العلاقات ، والانكليز ايضا . وكان محظورا علينا كذلك ان تكون لنا علاقات دبلوماسية مع كوبا والمانيا الديمقراطية . كل هذا تبدل . اننا نفعل كل شيء ، كما تعلم ، على الطريقة التشيلية ، وباطمئنان كبير .
- ما هو رأيك بالتجربة الكوبية ؟

- بالنسبة لي ، الثورة الكوبية هي شيء هام جدا . واستطيع ان اقول : مقدس . انها الثورة الاشتراكية الاولى في اميركا . واذن فان رغبتني هي ان تلقى جميع الحواجز التي واجهها فيديل كاسترو وان تكون الجمهورية الكوبية موضع احترام اكبر يوما بعد يوم .
- ولكنك انت شخصا ، لست على تفاهم تام مع الكوبيين . انهم عابون عليك لانك زرت الولايات المتحدة الاميركية بدعوة من « نادي القلم » .

- تريد ان تقول مع الكتاب الكوبيين ؟ هذا شيء لا اهمية له . ثم ان الكتاب الكوبيين قد تخصصوا في ايجاد اعداء لدى سائر الكتاب ، وان اختاروني كمرمي لهم ، فان عليك ان تتوجه اليهم بالسؤال عن السبب ، وليس لي ، لانني انا مخلص للثورة الكوبية . لا تنس كتابي الاول عن الثورة الكوبية المسمى *Chanson de geste* « اغنية حركة » .

- لقد طبع هذا الكتاب خمسا وعشرين طبعة . اني اتمنى للكتاب الكوبيين ان يحصلوا على مثل هذا النجاح .
- ماذا تفكر بقضية باديللا ، وبانتقاده الذاتي العلني ؟
- ارى ان قصائده مهمة بما فيه الكفاية ، ولكنها ليست رائعة .

- ان واقع باديللا الذي كان قد سجن والذي اقر بانواع من الاعترافات ، قد خلق في اوربا اصداء كبيرة لدى اولئك الذين كانوا ينظرون الى كوبا بود .

- اني افهم ذلك . انه حادث مؤسف . ولكني ، بعد كل حساب ، ارى انه ، في تاريخ ثورة ما ، تجري كثير من الاشياء التي تبدو ضخمة في بادئ الامر . ثم ضئيلة في نهايته . ارجو ان يعيش باديللا بسلام مع الثورة الكوبية وان يعيش الكتاب الكوبيون بسلام مع سائر الكتاب .

- واخيرا ، هذه التشويبات للحرية ، في كوبا ، هل هي بالاجمال ما تريد الثورة التشيلية ان تتجنبها ؟

- اني لا افهمك . فبالنسبة لما يتعلق بنا ، فاننا نحن التشيليين سنحافظ على الشرعية والحرية . والثورة الكوبية هي حصيلة تمرد عسكري كبير ، بينما تجربتنا هي حركة سياسية ، حركة فكر تصنع في الاكثية .

- ان كان هناك خيار بين الانتخابات التي تخسر ، او ميكانيكية على الطريقة الكوبية ، أي نحو نسبي للحرية ، فماذا تختار ؟
- سأحذف من سؤالك « ميكانيكية على الطريقة الكوبية » واقول لك : اذا خسرت الانتخابات ، فسنخسرها . انها حالة انتخاب نائب في قلابدزو ، هذا الانتخاب الذي كسبت المعارضة مقعده فسي البرلمان .

- وهل تراكم ستسلمون السلطة ؟

مشورات مكتبة النهضة ببغداد

تقدم بكل فخر

سيرة حياة لينين

ترجمة عزيز سباهي

أشمل وأوسع وأعمق دراسة عن هذا القائد الثائر
والمفكر والانسان العظيم .

وقد وضعت هذا الكتاب لجنة من أربعة مؤلفين
وأعده للنشر معهد الماركسية اللينينية التابع للجنة
المركزية للحزب الشيوعي في الاتحاد السوفياتي .
فهو ، من هذه الزاوية ، وثيقة أمينة لا يرقى اليها
أي شك ، لاستناده الى أدق المصادر والمراجع التي
تروي قصة لينين بكل تفاصيلها وتسرد سردا طليا
مشوقا مراحل حياته ومختلف آرائه ونظرياته كقائد
لثورة اكتوبر ومؤسس للدولة السوفياتية وصانع
للمجتمع الانساني الجديد .

لقد أطلع القارئ العربي ، في كتب مختلفة ،
على فصول من حياة لينين وفكره ، ولكن هذا الكتاب
هو أشمل ما ألف عن هذا الزعيم العظيم ، وهو يعني
عن كل كتاب آخر في هذا الموضوع .

مزين بصور ولوحات ملونة رائعة

وهو يقع في حوالي ١٠٠٠ صفحة

الشم ١٨ ل . ل .

- لا يمكن الكلام في التشيلي عن تسليم او عدم تسليم السلطة.
ان من يربح قد يربح . لقد فزنا ، قبل الحرب ، بأول انتخابات
الجهة الشعبية بفرق ...؟ صوت . اربعة وثلاثة اصفار ، كان من
السهل محسوها . ومع ذلك ، فقد احترم الحكم الشعبي . ان
الاحترام ، كما تعلم ، هو صفة تشيلية .
- هل أنت متفائل ؟

- انني لست متفائلا الى أبعد الحدود ، تفاؤل سفير . لدينا
الكثير من المشاكل ، وسيكون لدينا الكثير منها . ولكنني مؤمن
بالعدالة التي تقوم بها . انه لو اوضح جدا للجميع اننا نرد للشعب
التشيلي ما كان يعود له من فرون ! ان ما سيجعلنا نخسر سيكون
افلاسا اقتصاديا كبيرا . نحن نعرف ذلك ، ونعرف ايضا ان هذا
الافلاس تهيب له الرجعية والاعداء الخارجيون الذين نطلق عليهم هذا
الاسم الشائع : الامبريالية . اننا نعلم ان هذا كله يمكن ان يحصل ،
ونعلم اين هو واجبنا . ونعلم ايضا اننا اذا ابتعدنا عن الشرعية ،
التي هي ميزة بلدنا ، فاننا نقدم للعدو هدية جميلة . اننا لسنا
بلهاء الى هذا الحد . لقد اعلن رئيس الجمهورية اليندي من جديد ،
امام السيد رول روا ، الوزير الكوبي للعلاقات الخارجية ، ان حكومته
لن تحيد عن الطريق الديمقراطي والدستوري لكي تفقد التشيلي الى
الاشتراكية . لقد أدان احتلال الاراضي ، وقال ايضا ان التجربة
التشيلية ليست شبيهة بالتجربة الكوبية او بتجارب بلاد اوروبية
اخرى . انها تجربة ، الى حد ما ، اصعب .

- هل انت مرتاح في دورك كسفير ؟

- ان ذلك فطبع بالنسبة لي . . فاننا نعيد فرنسا ، وأعيد
باريس . واكثر ما احبه ، هو ان انجول عند اصحاب المكتبات ،
على ضفاف السين . والحال انني لم أستطع ان افوم بذلك حتى الآن .
- تقول انك تعيد فرنسا ، ولكنك كتبت فيها قصائد غير
محبسة .

- الاشخاص الذين يتحابون كثيرا يمكنهم ان يتخاصموا . تصور
كم من الآف المرات تحدثت تمجيدا بفرنسا ، وحبيا بفرنسا . لا تنس
انني حائز على وسام تقديرا لخدمات قدمتها لفرنسا اثناء الحرب . .
فلماذا اذن لا اسمح لنفسي أحيانا بان انتقد ؟

- ألم تبعد خارج الحدود الفرنسية منذ بضعة اعوام ؟

- هذا صحيح . ولكنني لم أبعُد لان فرنسا كانت تريد ابعادي .
ان الحكومة التشيلية وفنذاك هي التي طلبت ابعادي .
- لماذا ؟

- كان يحكمنا في تلك الفترة ، في التشيلي ، رئيس جمهورية
كنت قد ساعدته لينجح في الانتخابات . وقد صنع كل شيء بعكس
ما كان قد وعد به ، فعارضته . وأنيبت الى فرنسا ، فطلب ابعادي ،
ليس من فرنسا فقط ولكن من جميع بلدان العالم . لم يكن فسي
استطاعني ان اضع قدمي في اي مكان . وعندما أبعدت ، أدهشني
ذلك . وعندما ، وجدت ان هناك خطين او ثلاثة احتججت فيها .
أتمنى ان تكون قد نسيت .

- هل تعتقد ان شعرك يقدم شيئا ما للعالم ؟ وانه يجعل
الناس أكثر سعادة ؟

- ذات يوم ، منذ وقت طويل ، جاءني زوجان فرنسيان
لرؤيتي ، وليقولوا لي انهما قد تزوجا بسبب كتابي « عشرون قصيدة
حب » . كانا قد بدأ بدراسة اللغة الاسبانية معا . لقد أثر في
ذلك كثيرا . أتمنى ان يقرأ ذلك في « الاكسبرس » ان لم يكونا
قد طلقا .

ترجمة عائدة مطرجي ادريس